الألبسة العربية في القرن الأول الهجري

دراسة أولية

الدكتور صالح أحمد العلي

لدراســـة الألبسة أهمية كبيرة في تاريخ الحضارة عموماً ، فهي من الأدلة على المستوى الذي وصلته الحضارة المادية ، وعلى الطبقات الاجتماعيـــة وتمايزها ، والثروة ومداها ، كما تدل على رقي الصناعات المحلية وازدهار التجارة ، وكذلك على مستوى الاسعار ومستوى المعيشة ؛ وهي تدل على الأذواق وتطورها .

وقد اعتمدت الامبراطورية الاسلامية في أوائل تكوينها على العرب من أهل الحجاز ثم من أهل الجزيرة ، الذين استطاعوا بمدة لاتزيد على الربع قرن من توسيعها حتى أصبحت تشمل الأقاليم الواقعة بين نهر جيحون والمحيط الاطلسي ؛ واصبحت أراضيها الواسعة تضم شعوباً وأناساً متباينين في أســـاليب حياتهم ومستويات حضارتهم . ولا يخفى ان هذا التباين والتنوع كان موجوداً حتى عند العرب الذين كانوا نواة الاسلام والكتلة المسيطرة على ادارة الدولة . ذلك ان الجزيرة العربية التي جاء منها العرب لم تكن فيها حضارة واحدة عامة ، بل كانت فيها مجتمعـات متباينة في أساليب حياتها ومستوياتها الاجتماعية ، فمع ان أغلب الجزيرة صحراء يجوبها ويستقر في واحاتها البدو ، إلا أن فيها مناطق زراعية واسعة ،

كما ان فيها مراكز صناعية ، وفيها عدد من المدن ؛ يضاف إلى ذلك أن التكوين الاجتماعي فيها لم يكن واحداً ، فقد كان فيها الاغنياء والمترفون، وفيها متوسطو الحال والفقراء ، كما ان العرب في الجزيرة لم يكونوا منعزلين عن العالم المحيط بهم ؛ فقد تعرضت الأراضي الواقعة في أطرافها إلى اثر الأجانب ، كالفرس في البحرين ، والروم في فلسطين والأردن ، والاحباش والفرس في اليمن . ثم إن التجارة العالمية التي ساهم فيها العرب أدت بهم إلى الاحتكاك والاتصال مع كافة الاقطار المجاورة ، وربما البعيدة أيضاً .

وقد أدى تكوين الامبراطورية الاسلامية إلى ازدياد اتصال العرب بالأقاليم والشعوب الاخرى ، حيث هاجر عدد كبير منهم إلى الاقاليم المفتوحة باعتبارهم جنوداً وقواداً ، أو إداريين ، أو تجاراً ، ومع ان بعضهم استقر في الأقاليم المفتوحة ، إلا أن فريقاً غير قليل منهم كانت هجرته موقتة ، وكان يعود بعد اداء مهمته إلى موطنه الأصلي . ولا يخفى ان الدولة الاسلامية في القرن الأول الهجري اتبعت سياسة الباب المفتوح ، فأباحت تنقل الاشخاص والسلع ، ولم تفرض عليها قيوداً مانعة ، كما لم تفرض على الناس أزياءً خاصة، اللهم الا ما يقال أنها فرضت على أهل الذمة أن يحتفظوا بأزيائهم الخاصة ولا يتزيوا بزي العرب . وقد أدت هذه الحرية الى اقتباس الناس ألبسة لم تكن مألوفة عندهم ، وأخذت السلع تأتي إلى الحجاز ، مثلاً ، من مختلف الاقاليم القريبة والنائية ، كهراة ونيسابور والري ، فضلاً عن العراق وبلاد الشام ومصر . وأخذ بعض الناس يقلدون الأزياء الاعجمية ، فيقول الجاحظ « وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان لا تفصل بين من نزل أبوه بفرغانه وبين أهل فرغانه ، ولا ترى بينهم فرقاً في السبال الصهب والجلود القشره والاقفاء العظيمعة والأكسية الفرغانية وكذلك جميع تلك الارباع لا تفصل بين أبناء النازلة وبين أبناء النابتة (مناقب الأتراك في مجموعة رسائل الجاحظ ١/٦٣ـ٦٤ .)

ويقول مالك ان الخياطة من عمل الموالي (مدونة ٤/٣٩٥) أي من حرف الأعاجم وهو

يشير بذلك الى المدينة في القرن الثاني الهجري ، ولا شك ان سيطرة الاعاجم على الخياطة جلب معه الاذواق والاساليب الاعجمية أيضاً .

ثم ان الفتوح الاسلامية أدت إلى زيادة موارد العرب ، والى رقي مستوى المعيشة ، وازدياد البذخ في الالبسة وخاصة في الامصار الاسلامية ، وربما في المراكز القريبة منها ؛ وقد تجلى هذا البذخ في كمية وأنواع الملبوسات التي استعملها مختلف طبقات الناس .

وفي بداية التاريخ الاسلامي يقف الرسول الأعظم ، وهو أعظم شخصية في الاسلام ؛ اهتم المسلمون بتدوين اعماله واخباره ومختلف جوانب حياته ، وكان مما تناولوه الالبسة التي كان يستعملها الرسول أو كانت في زمنه ، وقد خص المحدثون وكتاب السير ألبسته بفصول خاصة . ويبدو مما كتبوه ان الرسول كان يهتم بنظافة ثيابه وبساطتها دون الترف ، فيروي البخاري « ان الرسول (ص) صلى ملتحفاً في ثوب واحد (بخارى : لباس جزيه ٩) ويروي النسائي عن عمر بن أبي سلمة انه رأى رسول الله (ص) يصلي في ثوب واحد في بيت أم سلمة واضعاً طرفيه على عاتقه (النسائي ١/١٢٤ أنظر أيضاً ابن حنبل ٣/١٠/١٥/٤/٢٦) كما يروى عبد الرحمن عمن أخبره انه « رأى النبي (ص) صلى في ثوب واحد متوشحاً به »

لقيت الالبسة والثياب اهتماماً من العلماء القدماء وخاصة اهل اللغة واصحاب المعاجم ، فخصص معظم مؤلفي كتب الادب وفقه اللغة فصولاً للثياب وانواعها وانسجتها وزخارفها وتفصيلها . كما ذكر اصحاب المعاجم الالبسة في معاجمهم ؛ ولعل اعظمهم هو ابن منظور الذي ذكر في معجمه العظيم « لسان العرب » مختلف انواع الالبسة والثياب ، موزعة حسب امكنتها من الترتيب المعجمي الذي سار عليه واورد عند الكلام عن كل ثوب ولباس ما قاله في تعريفه اللغويون القدماء كالاصمعي وابي عبيد والجوهري وابن سيده ، واشار الى استعمال الرسول له ، معتمداً في ذلك على ابن الاثير ، وذكر بعض الابيات التي ورد فيها ؛ ولمعلوماته قيمة كبيرة ، غير ان وصفه نظري ، كما انه لا يشير دائماً الى زمان ومكان

استعمال الثوب الذي يتحدث عنه لذلك فقد اقتصرنا على الثياب التي نصت المصادر الاخرى استعمالها ابان القرن الاول الهجري .

وقد التفت بعض كتاب التراجم والمؤرخين الى الالبسة ، وعنوا بذكر الثياب التي كان يلبسها الرجال الذين تناولهم بالبحث اولئك المؤلفون ويقف ابن سعد في طليعتهم ، حيث انه في كتابه العظيم « الطبقات الكبيره » ذكر الثياب والالبسة التي كان يرتديها كثير من ترجم لهم ؛ وبذلك مكننا من معرفة كثير من الثيـاب المستعملة في القرنين الاول والثاني اللذين عنى بتدوين اخبـار رجالهما ، ومن تكوين فكرة عن المكان الذى ساد فيه استعمال ذلك الثوب . ولكن بالرغم من كثرة عـدد من ترجم لهم ابن سعد ، فان تراجمه كانت اخص بالاتقياء والورعين والبارزين من الصحابة والتابعين واهل الامصار

وفي تاريخ الطبري اشارات الى ثيـاب بعض الخلفاء ورجال الحكم والادارة ، كما ان في كتاب الاغاني اشارات كثيرة الى ثياب المترفين والارستقراطيـة والمغنين وبعض البـدو ، وهذه المادة تكمل ما في كتاب ابن سعد من نقص .

غير ان هذه المصادر الثلاثة ، بالرغم من المعلومات القيمة التي فيهـا عن ثيـاب طبقات مختلفة من اهل القرن الاول ، فان اهتمامهم انصب بالدرجة الاولى على العرب المسلمين من اهل الامصار ، فلم يلتفتوا الى ثياب اهل الذمة والاعاجم ، والبسة الفلاحين من اهل الريف او البدو من اهل الصحراء .

ويتبين مما تقدم اني اعتمدت في مقالي هذا على مصادر مكتوبة يرد فيها ذكر اسم الثوب مجرداً او مع وصف مقتضب للثوب وطريقـة استعماله . وهي لا تكفي لتكوين صورة كاملة او واضحـة للالبسة . كما لا ادعي اني استوعبت كافة الاشارات الى الالبســة في المصادر العربية ؛ غير اني ، بالرغم من ذلك ، اعتقد ان المادة التى سأعرضها تقدم اساساً للباحثين في هذا الموضوع الدقيق .

(مساند أبي حنيفة ١/٣٥٠) انظر عن صلاة الرسول في ثوب واحد أبو داود : صلاة ٧٧ ابن حنبل ٣/١٠ .

غير إن تطور مستوى المعيشة بعد زمن النبي أدى إلى اهتمام الناس بالثياب حتى ان مروان بن ابان بن عثمان طلع مرة « وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمن الفي درهم » (أغاني ١٧/٨٩) ويبدو أن الاكثار من الألبسة لم يقتصر على الارستقراطية بل عم الناس ، حتى ان جابر بن عبد الله « أمهم في قميص ومعه فضل ثيابه يعرفنا سنة النبي » و « انه أمهم في قميص ليس عليه إزار ولا رداء ليعلمنا انه لابأس بالصلاة في ثوب واحد » (مساند أبي حنيفة ١/٣٤٩) ويروي محمد بن المنكدر « صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب ، فقال له قائل تصلي في إزار واحد ؟ فقال إنما صنعت هذا ليراني أحمق مثلك وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله « بخارى : كتاب الصلاة باب ٣) ويروي الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة » إن سائلاً سأل رسول الله (ص) عن الصلاة في الثوب الواحد فقال أو لكلكم ثوبان » (البخارى كتاب الجزيه الباب ٩) . ويروى ابن حنبل بعدة مساند « قال أبيّ بن كعب الصلاة في الثوب الواحد سنة كنا نفعله مع رسول الله (ص) ولا يعاب علينا ، فقال ابن مسعود إنما كان ذلك إذا كان في الثياب قلة ، فأما إذا وسع الله فالصلاة في الثوبين أزكى » ابن حنبل ٥/١٤١) .

يذكر ابن منظور صنفين من الألبسة ؛ ما يقطع وما لايقطع » والمقطع من الثوب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات وغيرها ، وما لايقطع منها كالأردية والأزر والمطارف والرياط التي لم تقطع وانما يتعطف بها مرة ويتلفع بها أخرى ، (لسان ١٠/١٥٥) وهذا القول على أهميته مقتضب ، لأنه لا يشمل كافة الثياب ، ولذلك سنبحثها فيما يلي مراعين تشابهها بقدر الامكان .

أنواع الألبسة

الرداء :

لقد ذكرت المصادر رداءً سنبلانياً كان على الامام علي (سعد ١٣/ ١٨) ورداءً منتناً كان على القاسم بن محمد (سعد ٥/١٤٢) ورداءاً قرقبيـــاً مفتولاً كان على محمد النفس الزكية عند ما ثار (طبري ٣ / ١٦٩)

وتذكر كثير من النصوص الاردية مصبوغة أما بالعصفر كالرداء الذي كان يستعمله عروة بن الزبير (سعد ٥/١٣٤) أو ممصراً أو بالزعفران كالرداء الذي لبسه القاسم بن محمد حين اعرس (سعد ٥/١٤٢) وكالرداء الذي كان يلبسه الوليد بن يزيد عند ما دخل عليه .. (أغاني ٢/٢١٠، ٦/٧٩) .

والغالب ان الرداء يلبس مع الإزار ويلبس الازار مع ألبسة أخرى ، وخاصة مع لرداء كما ذكرنا عند الكلام عن الرداء حيث تردد ذكرهما معاً في احاديث عن الرسول « وهو متزر بازار ليس عليه رداء .. عليه رداءه وازاره ..دخل على رسول الله في ازار ورداء .. صلى جابر في ازار ورداء .. ليحرم أحدكم في ازار ورداء ونعلين على بردتين متزراً باحداهما مرتدياً بالاخرى . (أنظر عن مواضع هذا الحديث في كتب الصحاح الستة : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي » ويذكر ابن سعد انه كان للرسول برد يمنه وازار من نسيج عمان « فكان يلبسهما يوم الجمعــة ثم يطويان (سعد١ـ١/١٠) ويروي ابن سعد عن رجال قال احــدهم : « ربما رأيت علياً يخطبنا وعليـه ازار ورداء مرتدياً به غير ملتحف وعمــامة فينظر إلى شعر رأسه وبطنــه » (سعد ٣ـ١ / ١٧) و « رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليـه قطريتان : ازار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه » (سعد ٣ـ١/١٨) وقد دخل حماد الراوية على الوليد بن يزيد « فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً » (اغاني ٢/٢١٠ ، ٦/٧٩) .

وقد يلبس الرداء مع القميص فيروى خالد بن اياس « رأيت على سعيد بن المسيب قميصاً الى

نصف ساقيه وكميه طالعة أطراف اصابعه ورداء فوق القميص خمس أذرع وشبراً » (سعد ١٠٣/٥) وكان على محمد النفس الزكية حين ثار « قميص غليظ ورداء قرقبي مفتول » (طبري ١٦٩/٣)

وقد يلبس الرداء مع الازار والقميص فتروي أم كثير انها رأت علياً ومعه مخفقة وعليه رداء سنبلاني وقميص كرابيس وازار كرابيس إلى نصف ساقيه الازار والقميص » (سعد ٣ قسم ١٨/١) . ويروي الكليني ان الامام علي اشترى ثلاثة أثواب « القميص إلى فوق الكعب ، والإزار الى نصف الساق ، والرداء من بين يديه الى ثدييه ومن خلفه إلى إليته » ويروي رجل إن علياً عند ما قتل كان عليه قميص « فشبرت بدنه فاذا هو ثلاثة أشبار وشبرت أسفله فاذا هو اثنا عشر شبراً » (الكافي ٤٥٦/٦ ـ ٧) ويقول الأعمش : « رايت ازار ابي وائل الى نصف ساقيه وقميصه فوق ذلك ورداءه فوق ذلك ومجاهد مثل ذلك » (سعد ٦ / ٦٨) وقد يلبس الرداء مع الثياب فيروي ابن قتيبة عن عبد الله بن جعفر « رأيت رسول الله (ص) عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران ورداء وعمامة » (عيون ١ / ٢٩٨) ويروي جرير بن عثمان انه رأى عبد الله بن بسر « مشمراً ورداءه فوق القميص » (ابن سعد ٧ قسم ١٣٢/٢) .

الازار :

الازار من الالبسة التي ورد ذكرها في كثير من احاديث الرسول (أنظر مادة أزار في المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي) كما تردد ذكره في كتب التراجم ، الأمر الذي يدل على شيوعه .

يختلف طول الازار : فكان للنبي « أزار من نسيج عمان طوله أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر » (سعد ١ قسم ١٠/١) وكان « سالم بن عبد الله يأتزر بازار قصير ليس له حاشية (سعد ١٤٦/٥) وكان ازار ابن عمر فوق العرقوبين ودون العضلة (سعد ٤ قسم

١٢٨/١) وكان « ازاره إلى نصف الساق » (ابن حنبل٣/٩٨) وكان «ازار أبي وائل إلى نصف ساقه » (سعد ٦/٦٨) (وأنظر أيضاً عن الازار إلى نصف الساق حنبل (٤/٦٥، ١٨٠ ؛ ٥/٦٤، ٢٧٨) وكان ابن عمر « ازاره إلى نصف قميصه » (سعد ٤ قسم ١٢٩/١) وروي ان الامام علي كان يأتزر فوق السرة (سعد ٣-١٧/١) ويروى عن الرسول أنه قال : « ما أسفل من الكعبين من الازار ففي النار . . و . . ازرة المؤمن إلى نصف الساق ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين (لسان ٥/٧٣-٤) .

ويعتبر اسبال الازار وارخاؤه من الخيلاء ، فقد قال رجل لابن اخي خالد بن الوليد : « يا خالد اتدع ابن اثال يفني أوصال ابن عمك بالشام وانت بمكة مسبل ازارك تجره وتخطر فيه متخايلاً » (اغاني ١٥/١٣) وكان ازار الشعبي مسترخياً (ابن سعد ١٧٧/٦) وتروى عن الرسول احاديث في النهي عن اسبال الازار أو جره خيلاء (أنظر المعجم المفهرس مادة ازار) ويبدو أن القرشيين عرفوا بارخاء الازار فقد قال الاخطل :

مشي قرشية لا شك فيها ... وأرخى من مآزره الفضولا

(أغاني ٨/٢٩٦) .

ويلبس الازار باشكال مختلفة : فيروي الامام علي « قال لي رسول الله (ص) إذا كان ازارك واسعاً فتوشح به ، وإذا كان ضيقاً فأتزر به » (سعد ٣-١٩/١) وقد لبس عدد من الصحابة الازار محللاً ، فيروي كثير بن زيد : « رأيت سالم بن عبد الله يصلي في قميص واحد محلل الازار (سعد ١٤٦/٥) ويقول الازرق بن قيس : « ما رأيت ابن عمر إلا وهو محلول الازار » (سعد ٤-١٢٨/١) .

ويروي الاصفهاني « أول من عقد من النساء في طرف الازار زناراً وخيط ابريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الازار ولا يتحرك ولا يزول ميثم » (اغاني ٣٠٢/٧) كما يذكر مرور ابن تيزن المغني وقد أتزر بمئزر على صدره وهي أزرة الشطار عندنا » (الاغاني١/٤٠٨ ، ٦/٣٣٩) .

وقد يلبس الازار مع القميص، فيروي زريق أن الحسين جاء مرة « وعليه قميص قوهي وازار مصبوغ بزعفران » (انساب الاشراف ٤ـ٢/٢٢) وكان « ابن عمر يتزر فوق القميص في السفر » (سعد ٤ـ١/١٢٨) وقد كان « ابن عمر يمشي بين ثوبين كأني انظر إلى عضلة ساقه تحت الازار والقميص فوق الازار » (سعد ٤ـ١/١٢٨) ويروي قدامة أنه رأى علياً يخطب « عليه قميص قهز وازاران قطريان » (سعد ٣ـ١/١٦) ، وكان أبو هريرة يكره أن يأتزر فوق قميصه (سعد ٤ـ٢/٥٩) .

وقد يلبس القميص مع البسة أخرى : فقد روى أبو ظبيان « خرج علينا علي في ازار اصفر وخميصة سوداء (سعد ٣ـ١/٢٠) . وروي الاعمش « رأيت ازار أبي وائل إلى نصف ساقيه ، وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك ، ومجاهد مثل ذلك » (سعد ٦/٦٨) . ويروي أيوب « أمنا سالم في قميص وجبه وقد اتزر فوقها (سعد ٥/١٤٦) و « لما صار بنو الحسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله علي بن جعفر وعليه قميص وساج وازار رقيق تحت قميصه » (طبري ٣/١٧٦) . كما قد يلبس مع الملحفة كما سنذكر فيما بعد .

وقد منع عمر بن عبد العزيز دخول الحمام بدون ازار (سعد ٤ـ١/١٢٧) .

وقد ذكرت ازر من عمان (سعد ١ـ١/١٠) وازر قطرية (سعد٣ـ١/٢٣٧ ، ٧/١٦) وقد يكون الازار اصفراً كازار عمر يوم أصيب (سعد ٣ـ١ / ٢٥٢) ومثل إزار علي (سعد ٣ـ١/ ٢) أومورداً أومصبوغاً بالزعفران مثل إزار الحسين (أنساب ٤ـ٢ / ٢٢٩) وازار الوليد بن يزيد (اغاني ٩/٢٦٣) مثل إزار الشعبي (سعد ٦/١٧٧) أو أحمراً (اغاني ٢/٣١٥) .

القميص :

يعتبر القميص من المقطعات عند البعض ، على ما يروي ابن منظور (لسان ١٠/١٥٥) .

ويعمل القميص من الثوب ، فيروى عن حجاج الصواف انه قال : « أمرني عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة أن اشتري له ثياباً ، فاشتريت له ثياباً فكان فيها ثوب باربعمائة فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده فقال ما اخشنه واغلظه » (سعد ٥/٢٤٦) .

وللقميص أكمام فكان « كمى القاسم بن محمد قميصه وجبته تجاوز اصابعه باربع اصابع أو شبر أو نحوه » (سعد ٥/١٤٠) وكان قميص الامام علي « إذا مد كمه بلغ الظفر فاذا ارخاه .. بلغ نصف ساعده ، وقال عبد الله بن نمير بلغ نصف الذراع » (سعد٣ـ١/١٧) أما قميصه السنبلاني فقد جاءه خياط فمد كم القميص فامره أن يقطعه من خلف اصابعه (سعد ٣ـ١/١٨) .

اما طول القميص فيختلف ، فكان : « علي سعيد بن المسيب قميصاً إلى نصف ساقيه : كميه طالعة اطراف اصابعه ورداءً فوق القميص خمس اذرع وشبراً » (سعد ٥/١٠٣) وكان على سالم بن عبد الله » قميص إلى نصف ساقه » (سعد ٥/١٤٦) ، أما عمر بن عبد العزيز فكانت « قمصه وجبابه فيما بين الكعب والشراك » (سعد ٥/٢٩٨) .

وقد تبدلت اساليب لبس القميص فيروي ابن قتيبة « قال معمر رأيت قميص ايوب يكاد يمس الارض فكلمته في ذلك فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وأنها اليوم في تشميره » (عيون الاخبار ١/٢٩٨) ويروى أن الرسول قال إن المحرم : « لا يلبس القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا الخفين الا لمن لا يجد نعلين » (الأم ٢ / ١٢٥ مسند الشافعي ١ / ١٣٠)

وقد ذكر من الوان القمصان البيضاء والسوداء ، فيروى الطبري ان محمد النفس الزكية جاء عند ثورته « وعليه قميص ابيض محشو وعمامة بيضاء » (طبري ٣ / ٢٢٤) ويروى الاصفهاني ان الفرزدق جاء مرة « وعليه قميص اسود وقد شقه الى سرته » (اغاني ٩ / ٤٠)

وقد تصنع القمصان من الكتان حيث يروى انه «كان لسالم بن عبدالله قميص كتان» (سعد ٥ / ١٤٦) او قد تصنع من الكرابيس : فقد ذكر عطاء« رأيت على علي قميصاً من هـذه الكرابيس غير غسيل » (سعد ٣ ـ ١ / ١٧) . كما ذكر القميص المكفف بالديباج (انظر ديوان الهذليين قطعة رقم ١٣٠)

واشهر القمصان التي تردد ذكرها هي القوهية ثم الرازية ثم الهروية (انظر عن المصادر التي ذكرتها مقالي عن مراكز الانسجة في القرن الاول الهجري : مجلة الابحاث(ج/ ٤ مجلد ١٤ سنة ١٩٦١) .

ويلبس القميص مع الرداء كما ذكرنا من قبل او مع الجبة (سعد ٥ / ١٤٦) وقد تلبس فوق القميص الملحفة (سعد ٥ / ١٣٤) والملاءة (اغاني ٨ / ١٥)

الملحفة :

يقول ابن منظور : « اللحاف والملحف والملحفة اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به . والملحفة عند العرب الملاءة السمط فاذا بطنت ببطانة أو حشيت فهي عند العوام ملحفة (لسان ١٢/٢٢٥) ويقول في مكان آخر « الازار الملحفة » (٥/٧٣) .

وتذكر أغلب النصوص الملحفة المعصفرة ؛ فقد كان يلبسها خارجة بن زيد (سعد ٥/١٩٤) وعمر بن أبي ربيعة (اغاني ٨/٢٧٨) والقاسم بن محمد (سعد ٥/١٤٢) كما ذكرت ملحفة صفراء لبسها عمر بن الخطاب (سعد ٣/٢٣٧) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥/٨٤ أنظر أيضاً اغاني ١/١٠٦) ؛ كما ذكرت الملحفة الحمراء وقد استعملها علي بن الحسين (سعد ٥/١٦١) ومحمد بن علي (سعد٥/٢٣٦) وابراهيم النخعي (سعد٦/١٩٦ـ١٩٧)

وابراهيم التيمي (سعد ١٩٩/٦) . وقد تكون الملحفة موردة (اغاني ١١١/٢) .

وقد تلبس الملحفة مع القميص فقد روى عن عروة بن الزبير « أنه كان يصلي في قميص وملحفة مشتملاً بها على القميص » (سعد ١٣٤/٥) . أو تلبس مع الازار ، فيروي سلمة بن كهيل « ما رأيت ابراهيم في صيف قط إلا وعليه ملحفة حمراء وازار اصفر » (سعد ١٩٦/٦-٧) .

وقد ورد عن طريقة لبس الملحفه نص : فيروي عيسى بن حفص « رأيت القاسم بن محمد وعدناه في مرضه عليه ملحفة معصفرة قد أخرج نصف نخذه منها (سعد ١٤٢/٥) ويروي موسى بن نافع أن ابن جبير يصلي وعليه ملحفة شقتان ملفقة » (سعد ١٨٦/٦) .

الملاءة :

يذكر ابن منظور أن « الملاءة الريطة وهي الملحفة .. وفي الحديث .. فرأيت السحاب يتمزق كانه الملاءة حين تطوى .. وهي الازار والريطة » (لسان ١ / ١٥٥)

لقد ذكرت الملاءة في عدد من النصوص ووصف لونها فمنها : الصفراء فكان « على عثمان ملاءة صفراء » (انساب الاشراف ٥ / ٤) وكان لابراهيم النخعي « ملاءتين صفراوين يخرج فيهما الى المسجد الجامع ويجمع فيهما » (سعد ٦ / ١٩٧) وكانت له ايضاً ملاءة « حمراء يصلي بنا فيها ها هنا » (سعد ٦ / ١٩٧) « وكان سعيد بن المسيب يلبس ملاءة شرقية » (سعد ٩٩/٥) وكان على الوليد الثاني « ملاءة مطيبة » (اغاني ١ / ٥٢) .

ويتبين من هذه النصوص ان الملاءة كانت من البسة الرجال في الحجاز والكوفة والشام .

الريطة :

يقول ابن منظور « الريطة الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين وقيل

الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، وقيل هو كل ثوب لين دقيق والجمع ريط ورياط قال :

لا مهل حتى تلحقي بعنس ... اهل الرياط البيض والقلنسي

قال الازهري لا تكون الريطة الا بيضاء والرائطة كالريطة ، (لسان ٩ / ١٧٨)

وقد ذكرت الريطة من بعض النصوص فيروي ابو عبيده عن ابيه « دخل علينا كثير يوماً وقد اخذ بطرف ريطته والقى طرفها الآخر وهو يقول . . » (اغاني ٨ / ١٢٥) ويقول عمارة بن الوليد :

خلق البيض الحسان لنا ... وجياد الريط والازر

(اغاني ٩ / ٤٩)

ويذكر ابو نعيم عن عبد الملك بن شداد بن الهاد انه رأى « عثمان يوم الجمعة على المنبر عليه ازار عدني غليظ . وريطة كوفية ممشوقة » (حلية ١ / ٦٠) ويذكر مالك « الرائطة من نسج الولائد » (مدونة ٩ / ١٣١ ، ٢٤)

الدراعة :

كانت الدراعة من اهم ثياب النساء زمن الرسول حين كانت الثياب بسيطة وقليلة ، فيروى عن عائشة انها قالت « . . كان لاحدانا الدرع فيه تحيض وفيه تصيبها الجنابة » (انظر معجم فنسنك مادة درع)

وقد ذكرت الدراعة لباساً للنساء في عدة نصوص (اغاني ٢ / ٢٨١ سعد ٨ / ٣٥٨ — ٩) وللرجال اغاني ١ / ٤٦ ؛ ١١ / ١٧١)

وقد تكون الدراعة صفراء (اغاني ١١ / ١٧١) او موردة (سعد ٨ / ٣٥٨ / ٣٦٣) او مورسة (اغاني ٢ / ٢٨١) او مصبوغة بالزعفران (اغاني ١ / ٤٦)

الخميصة :

يقول الثعالبي « الخميصة كساء اسود اسود مربع له علمان ، عن ابي عبيد ، وعن الاصمعي ان الخميصة ملاءة معلمة من خز او صوف » (فقه اللغة ٢٤٦) ويذكر ابن منظور « الخميصة برنكان اسود معلم من المرعز والصوف ونحوه ، والخميصة كساء اسود مربع له علمان ، فان لم يكن معلماً فليس بخميصة .. وفي الحديث جئت اليه وعليه خميصة ، تكرر ذكرها في الحديث ، وهي ثوب خز او صوف معلم ، قيل لاتسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخمائص ثياب من خز ثخان سود وحمر ولها اعلام ثخان ايضاً » (لسان ٨ / ٢٩٦)

وقد ذكرت الخميصة في زمن الرسول ، فيروى انه قال « تعس عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة » (بخارى كتاب الجهاد ٧٠ ابن ماجة : الزهد ٨) مما يدل على انها من البسة المترفين .

وقد ذكرت خميصة سوداء لبسها عثمان (سعد ٣ ـ ١ / ٣٩ انساب الاشراف ٥ / ٣) كما لبسها علي مع ازار اصفر (سعد ٣ ـ ١ / ٢٠)

البرنكان :

يقول ابن منظور « البرنكان ضرب من الثياب عن ابن الاعرابي .. الجوهري البرنكان ضرب من الاكسية ، قال الفراء البرنكان كساء من صوف له علمان » (لسان ١٢ / ٢٨١) لقد ذكرنا أعلاه قول ابن منظور ان الخميصة برنكان أسود . لم يرد ذكر البرنكان في الحديث ولكن يذكر الاصبهاني ان رؤبة بن العجاج دخل السوق وعليه برنكان اخضر (اغاني ٢١ / ٦٠) ويذكر ابن قتيبة ان جعفر البرمكي مر على الاصمعي « ورآه على مصلى بالٍ وعليه برنكان اجرد » (عيون ١ / ٢٩٩) .

يقول الثعالبي « المرط كساء من خز او صوف يؤتزر به » (فقه اللغة ص ٢٤٦)

ويقول ابن منظور « المرط كساء من خز او صوف او كتان وقيل هو الثوب الاخضر .. وفي الحديث انه (ص) كان يصلي في مروط نسائه اي اكسيتهن الواحد مرط يكون من صوف وربما كان من خز او غيره يؤتزر به ، وفي الحديث انه (ص) كان يغلس بالفجر فينصرف النساء ملتفعات بمروطهن ما يعرفن من القلس . وقال الحكم الخضري :

تساهم ثوباها ففي الدرع رادة وفي المرط لفاوان ردفهما عبل

قوله تساهم اى تقارع والمرط كل ثوب غير مخيط » (لسان ٩ / ٢٧٨)

لقد ذكر المرط من البسة النساء ، فروى الاصبهانى ان بثينة جاءت « وهي تتعثر في مرطها » (اغاني ٨ / ١٥٤) وقال عمر بن ابي ربيعة :

يسحبن اذيال المروط بأسوق خدال واعجاز مآكمها روا

(اغاني ٩ / ٦٣) ويقول :

وتلبس للجارات إتباً ومئزراً ومرطاً فبئس الشيخ يرفل في الاتب

(اغاني ١ / ٤٠١)

الغلالة :

يقول ابن منظور « الغلالة شعار يلبس تحت الثوب لانه لا يتغلل فيها اي يدخل .. » (لسان ١٤ / ١٥)

وقد ذكرت الغلالة في الاغاني حيث يروى خبراً يذكر فيه « ان سليمان بن عبد الملك

وجارية الى جنبه وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت » (اغاني ٤ / ٢٧٥)

الخمار :

يقول ابن منظور « وقيل الخمار ما تغطى المرأة رأسها » (لسان ٥ / ٣٤٢)

وقد ذكر الخمار في عدة نصوص ، فيروى ابن سعد عمن رأى عائشة عليها « خماراً جيشانياً » (سعد ٨/٣٥٨) و« خماراً اسود » (سعد ٨/٣٦٣) و« خمار» (سعد ٨/٣٥٩)

ويبدو ان الخمر السود لم تكن شائعة في بداية الاسلام ، وان العراق كان من البلاد المنتجة لها ، فيروى الاصبهاني « ان تاجراً من اهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي (ثم نظم له الدارمي قصيدة قل للمليحة في الخمار الاسود) .. فلم تبقى في المدينة ظريفة الا ابتاعت خماراً اسود حتي نفذ ما كان مع العراقي منها » (اغاني ٣ / ٤٥)

ويبدو ان الخمار كان اخص بلبس الحرائر فيروى « احمد بن محمد عن عبدالرحمن بن حسين عن ابيه ان عمر بن عبدالعزيز كتب ان لا تلبس امة خماراً ولا يتشبهن بالحرائر » (سعد ٥/ ٢٨١)

العباءة

لقد ذكرت العباءة في عدة نصوص ، فيذكر ابن سعد » ان سلمان كان اميراً على المدائن وكان يخرج الى الناس في اندرورد وعباءة » (سعد ٤ ـ ١ / ٦٣ / ٦٤)

يذكر ابن قتيبة « نظر معاوية الى النخار العذري في عباءة فازدراه في عباءته » (عيون ١ / ٢٩٧)

ويقول جرير :

يا ذا العباءة ان بشراً قد قضى   الا تجوز حكومة النشوان

(اغاني ٨ / ١٧)

وقالت امرأة روح بن زنباع تهجوه :

بكى الخز من روح وانكر جلده   وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم   واكسية كردية وقطائف

(اغاني ٩ / ٢٢٩)

ويتبين من هذه النصوص ان العباءة تختص بالبسة الرجال ، كما ان النصوص الثلاثة الاخيرة تظهر ان العباءة ليست من لباس الارستقراطية .

القباء :

وكان القباء مستعملاً في العراق وفي الحجاز

وهو اما من سندس كقباء زياد ابن ابيه (اغاني ١٦ / ٣ ط ٢ / ١١٥) وكقباء عروة بن الزبير (سعد ٥ / ١٣٤) او من ديباج كقباء اهدي الى الرسول (مسلم ٢ / ١٥٣) وكقباء زياد الاعجم (اغاني ١٤ / ١٠٠)

او من خز كالقباء الذي كساه ابو جعفر ابن عتاب (اغاني ٢٠ / ٤٢)

او من سمور كقباء الشعبي (سعد ٦ / ١٧٦)

او من كتان كالقباء الذي كساه ابو جعفر ابن عتاب (اغاني ٢٠ / ٤٥)

وقد يكون القباء مبطناً بالحرير كقباء عروة (سعد ٥ / ١٣٤)

وقد يلبس مع المطرف كما فعل زياد بن ابيه (اغاني ١٦ / ٣٢٠)

او قد يلبس قباءان احدهما فوق الآخر كما فعل ابن عتاب حيث كساه ابو جعفر قباء خز وكساه تحته قباء كتان مرقوع القب » (اغاني ٢٠ / ٤٢)

يروى أبو الفرج « وكان زياد (الاعجم) يخرج وعليه قباء ديباج تشبهاً بالاعاجم » (اغاني ١٤ / ١٠٠) مما يدل على ان هذا اللباس هو من لباس الاعاجم

ويقول أيضاً « ولما تولى محمد بن عبدالملك الوزارة اشترط ان لا يلبس القباء وان يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحمائل فاجيب الى ذلك » (اغاني ٢٠ / ٤٩)

السروال :

ذكر ابن سعد ان سعيد بن المسيب كان يلبس السروال (سعد ٥ / ١٠٣) وقد روى ابن جريج عن عطاء « انه قال من لم يكن له ازار وله تبان او سراويل فليلبسهما » (ام ٢ / ٩٢٦)

ويسمى شداد السروال هميان (لسان ٢٠ / ٢٤١) وكانت توضع فيه الدراهم فقد اخرج ابن جامع « من وسطه همياناً فيه ٣٠٠ درهم » (اغاني ٦ / ٢٩٦)



الجباب :

يقول ابن منظور « الجبة ضرب من مقطعات الثياب تلبس » (لسان ١ / ٢٤٢)

ورد في نصوص كثيرة ذكر الجباب من الخز : وقد ذكر منها جبة لكل من محمد بن علي (سعد ٥ / ٢٣٦) وعروة بن الزبير (سعد ٥ / ١٣٤) والقاسم بن محمد (سعد ٥ / ١٤١ ـ ١٤٢) والحكم بن العاص (اليعقوبي ٢ / ١٨٩) وعبيدالله بن عمرو بن عثمان (اغاني ١٩ / ٥١) والعجاج (اغانى ١٠ / ١٥٢) والاخطل (اغاني ٨ / ٢٩٩) وحماد عجرد (اغانى ٨ / ٧٣)

وقد ذكرت النصوص ايضاً جبة صوف (اغانى ٣/ ٥٧) وجبة وشى (اغانى ٧ / ١٣١ ـ ٦ / ٢٨١) كما ذكرت الجبة دون ذكر نسيجها (سعد ٥/ ٢١٥ اغانى ٨ / ٤ ٧١ / ٢٥٠)

وكان للنبي « جبة طيالسة عليها لبنة شبر من ديباج كسرواني وفرجاها مكفوفان به » (حنبل ٤ / ٧، ٣)

اما الوان الجباب فمنوعة : منها البيضاء كجبة عكرمة (سعد ٥ / ٢١٥)

والصفراء كجبة القاسم (سعد ٥ / ١٤٢) وجبة محمد النفس الزكية يوم اعلن الثورة (طبري ٣ / ١٩٦)

او خضراء كجبة القاسم (سعد ٥ / ١٤١، ١٤٢)

او حمراء كجبة عبيدالله بن عمرو بن عثمان (اغانى ١٩/ ٥١)

او دكناء كالجبة التي رآها حماد عجرد على بعض الكتاب (اغانى ١٣ / ٨٣)

وقد تلبس الجبة وحدها فيروى عصام بن قدامة « كان عكرمة يؤمنا في جبة بيضاء ليس عليه قميص ولا ازار ولا رداء » (سعد ٥ / ٢١٠) .

او مع رداء فيروى العطاء « رأيت القاسم وعليه جبة خز خضراء ورداء مبتت » (سعد٥ / ١٤٢) الوليد بن يزيد عليه جبة وشي ورداء وشي (اغانى ٦ / ٢٨١)

او مع كساء فيروى خالد بن الياس : « رأيت على القاسم بن محمد جبة خز وكساء خز وعمامة » (سعد ٥ / ١٤١) .

او مع القميص فيروى زيد بن ايوب « امنا سالم في قميص وجبة قد اتزر فوقها » (سعد٥/١٤٦) او مع مطرف : فيروى الاصبهاني ان الفرزدق « مر بعبيد الله بن عمرو ابن عثمان وهو جالس في سقيفة داره عليه مطرف خز احمر وجبة خز احمر » (اغانى ١٩ / ٥١) وكذلك السيد الحميري (اغانى ٧ / ٢٥٠) .

او مع طيلسان فيروى اليعقوبى ان الحكم بن ابى العاص خرج من عثمان وعليه جبة خز وطيلسان (٢ / ١٨٩)

او مع حرز فيروى الاصبهاني « لقد كان الاخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز » (اغاني ٨ / ٢٩٩)

البرنس :

يقول ابن منظور « البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة او ممطراً أو جبة الجوهري البرنس قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام » (لسان ٧ / ٣٢٨).

وكان يصلي فيه بعض الصحابة مثل سعيد بن المسيب » (ام ١ / ٢٠٦) وسعيد بن جبير (سعد ٦/١٨٦) وعلقمه (سعد ٦ / ٦٢) ومسروق (سعد ٦/٥١) وكان يلبسه ايضاً ابن عون (عيون الاخبار ١ / ٢٩٧) وابو الدرداء (تاريخ البخاري ١ قسم ٢ / ٢٨)

ذكرت برانس من الخز لبسها بعض المسلمين مثل ابن ابي اوفى (سعد ٤ قسم ٢ /٣٦) وابي عبيدة بن عبدالله (سعد ٦ / ١٤٦) وموسى بن طلحة (٥ / ١٢١) وعبدالعزيز بن عبدالملك (اغاني ٨ / ٤٤)

اما الوانه فقد ذكر منها برنس خز ادكن (سعد ٤ قسم ٢/٣٦) وبرنس ارجوان (ام ١ / ٢٠٦)

ان كافة النصوص التي اوردناها اعلاه تبين ان البرانس من البسة الرجال ، ولكن توجد نصوص اخرى تبين ان البرانس كانت من البسة النساء ايضاً ، فيروى الاصبهاني « جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلاً ، والبست من كان عندها برانس دون ذلك . . ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم امثالها .. ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها

على رأسها (اغاني ٨ / ٢٢٦)

ويبدو ان البرانس كانت غالية الثمن فيروى الاصمعي ان « ابن عون اشترى برنساً من عمر بن انس بن سيرين فمر على معاذه العدوية ، فقالت امثلك يلبس هذا ؟ قال فذكرت ذلك لابن سيرين فقال الا اخبرتها ان تميماً الداري اشترى حلة بالف يصلي بها » (عيون الاخبار ١ / ٢٩٧)

المستقة :

يقول ابن الاعرابي والاصمعي وابو عبيد « المستقة هي فرو طويلة الكم » (لسان ١ / ٢٢٠) انظر ايضاً الجواليقي : المعرب ص ١٣٧) ويقول ابو عبيد ان اصلها بالفارسية مشته فعربت (لسان ١٢ / ١٨)

يذكر شمر « ان النبي كان يلبس البرانس والمساتق ويصلي فيها » ويروى عن أنس ان « ملك الروم اهدى الى النبي مستقه من سندس فلبسها (لسان / ٢٢٠)

وقدكا يصلي في المستقة كل من سعد بن ابي وقاص (سعد ٣ قسم ١ / ١٠١) ويحي وثاب (سعد ٦ / ٢٠٩) وعلقمة (سعد ٦ / ٦٢) ومسروق (سعد ٦ / ٥١) كما كان يلبس المساتق كل من الشعبي (سعد ٦ / ١٧٦) وابراهيم النخعي (سعد ٦ ١٩٦)

ان كافة هـــذه النصوص من ابن سعد تتعلق باهل العراق ، مما يدل على شيوع استعمال المساتق فيه ، غير ان هذا لا يعني ان استعمالها قصر على أهـله ، فقد رأينا ان بعض النصوص تذكر ان الرسول استعملها كما ان ابن سعد يذكر « اهديت لعلي بن الحسين مستقة من العراق فـكان يلبسها فاذا اراد ان يصلي نزعهـــا » (سعد ٥ / ١٦١) ويذكر ابو الفرج المغني حنـــين و « عوده في حجره وعليـــه قبـاء خشك سُوى ، وقال اسحق ، خشكون ، ومستقة حمراء وخفان مكعبان » (اغاني ٢ / ٣٥٠)

المطرف :

يقول ابن منظور « المطرف واحد المطارف وهي اردية من خز مربعة لها اعلام ، وقيل ثوب مربع من خز له اعلام . الفراء : المطرف من الثياب ما جعل في طرفيه علمان » ل. ان ١١ / ١٢٣) ويقول الثعالبي ان المطرف كساء في طرفيه علمان (فقه اللغة ٢٤٦)

ولم يرد للمطرف ذكر في كتب الحديث سوى ما روى ان عائشة كست عبدالله بن الزبير مطرف خز (حنبل ٤ / ٣٨٣ / ٤٣٨ موطأ لباس ٥ وانظر معجم فنسنك مادة طرف)

وكان المطرف من لباس الارستقراطية فيروى ابن قتيبه ان بعض اشراف البصرة كانوا « اذا اتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف » (عيون الاخبار ١ / ٢٩٧)

واكثر النصوص التي ورد فيها ذكر المطرف كان مقروناً بالخز : وممن ذكر انه لبس مطرف خز : عثمان بن عفان (ابن سعد ٣ قسم ١ / ٤٠) وعبدالله بن عمر (ابن سعد ٤ قسم ١ ـ ١٢٧) ومحمد بن عمر (ابن سعد ٥ ـ ٥٠) وابو سلمة (ابن سعد ٥ / ١١٦) وعبدالرحمن بن ابي ليلى (سعد ٦ / ٧١) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥ / ٨٤) والوليد بن يزيد (اغاني ٧ / ٧)

وكان مطرف الخز يلبس مع الجبه : وممن ذكر انه لبسهما عبدالله بن عمرو بن عثمان (اغاني ١٩ / ٥١) والسيد الحميري (اغاني ٧ / ٢٥٠) ومحمد بن علي بن جعفر (سعد ٥ / ٢٣٦) كما كان يلبس مع القباء ، فقد ذكر انه لبسه زياد (اغانى (١٦ / ٣) ويلبس ايضاً مع البرنس ، حيث ذكر ان شريح لبسهما (سعد ٦ / ٩٦)

ان الوان المطارف منوعة : منها الاخضر وقد لبسه زياد (اغاني ١٦ / ٣) والشعبي (سعد ٥ / ١٧٦) والاحمر وقد لبسه عبدالله بن عمرو بن عثمان (اغاني ١٩ / ٥١) والاصفر وقد لبسه ابو سلمة (سعد ٥ / ١١٦) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥ / ٧٤ ، عيون الاخبار ١ ـ ٢٩٨) والشعبي (سعد ٦ ـ ١٧٦) والادكن وقد لبسه عروه بن الزبير (سعد ٥ ـ ١٤٣)

— البقيـــة على ص ٤١٨ —